حسين علي محفوظ

رائد الدراسات الفارسية في العراق

حميد مجيد هدو ♦

مقدمة :

لم تكن دراسة العلامة حسين علي محفوظ – رحمه الله – وجهوده في الدراسات الأدبية التاريخية العربية والفارسية المقارنة بدعاً من الجهود المنهجية الرصينة والقائمة على الأسس والقواعد التي يعتد بها لدى ذوي الاختصاص من الأكاديميين الذين وجدوا في أدب الأمتين المتحدثتين في تأريخهما قد اندرج ضمن إطار لا يمكن التغاضي عن أصالته ووجوده وديمومته .

وإننا لا نعني بهذا القول الترجمات الفارسية إلى العربية أو العكس فذلك أمر لا يمكن أن يعتد به في رسم ملامح العلاقات الفكرية والعاطفية بين أمتين أية أمتين . فالقاسم المشترك بين تلك الأفكار هو اللغة لا غير، والعامل في إنجاح الجهد هو معرفة الكاتب بقواعد اللغة التي يترجم لها أو منها، وهذا ما كان عليه العلامة (محفوظ) حين تصدى لمثل هذه القضايا من التراث الأدبي والفكري للعرب والفرس على حد سواء، وكان يخرج بحصيلة علمية دقيقة ومنهجية صرفة في كل جهوده التي أثمرت عن نتاج متميز سبق فيه الآخرين .

إن ترجمة الكلمة إلى لغة أخرى لا تعني بالضرورة ترجمة الموقف أو العواطف ، لذلك فإن الواجب أن نفهم أن إعجاب أمّة بأمّة هو الذي يترجم عواطفها قبل أن يترجم لسانها ، فلا مراء في أن أمّة الفرس ذات الحضارة الموغلة في القدم، التي تمتد إلى قرون ما قبل ميلاد السيد المسيح - عليه السلام - (عصر أردشير وكورش وقمبيز) قد انفتحت على اللغة العربية من أوسع الأبواب بعد دخول الفرس الإسلام فوجدوا فيها لغة جديرة بالتبني ، كما لمسوا فيها حضارة فكرية نيّرة وعاطفية متوازنة أغنت ما عندهم من تلك الحضارة وأثرتها بسيل مائج زخّار من المعاني والأخيلة والصور الفنية ، بل لقد برع جمع كبير

♦ دكتور ورئيس قسم الصحافة / كلية صدر العراق الجامعة / الكاظمية العراق .

منهم بنظم الشعر باللغة العربية إلى جانب ولوعهم بقواعدها لكي يتعلموا لغة القرآن وأحكام الدين ، حتى لنجد أن كثيراً من علماء اللغة العربية (نحو ، صرف ، بلاغة) كانوا ممن أنجبتهم الأمة الإيرانية فكان لهم القدح المعلى في إغناء هذه الدراسات .

أما العرب الذين انفتحوا هم الآخرون على الحضارة الفارسية، التي تمثلت بمدنية المجتمع في مقابل البداوة التي أخضعتهم لتجربة قاسية من العرف الاجتماعي، فرأوا فيه مجتمعاً أكثر ملاءمة للترف الذي ينشدونه لما يحمله هذا المجتمع من لين في العيش وجمال في الطبيعة وطيب في الهواء جعلهم يعضدون تقاليدهم الصارمة بأساليب العيش لدى المجتمع الفارسي فيخلقون مجتمعاً هجيناً يحمل الصفتين في آن واحد .

فالعربي تشده العصبية إلى قبيلته والى دينه والى كرمه وشجاعته وهو في الوقت نفسه صار يتأنق في ملبسه ، ويتحلى في زيّه ، ويتخير في مأكله ومشربه . أما الفارسي الذي لم تكن تنقصه الحضارة فإنه لم يجد عند العربي أعظم من لغته وشعره ومعانيه وأخيلته ، فراح يقتبس منها ما شاء له ذوقه أن يقتبس .

وأظن أن بحثي هذا حري بأن يجسّد جوانب التلاقح الحضاري والعلمي والاجتماعي والأدبي من هذا المنظور .

لقد شعر كثير من الدارسين من أبناء الأمتين العربية والإيرانية بوجود فراغ لا بد أن يسد : مؤداه الصلة بين حضارتين ربما رآها بعضهم متناشزتين في النوازع والقيم والتأريخ كما أسلفنا لذلك فإن نشر هذا البحث وفي مثل هذه الحقبة، التي تشرئب فيها الأعناق لمعرفة وشائج الأرومة بين تلكم الحضارتين، يدخل في إطار بناء نشاط فكري على أسس قويمة رصينة لأدب الأمتين وثقافتهما في الماضي والحاضر.

لقد كانت الثقافتان الفارسية والعربية في عصور ازدهارهما متفاعلتين إلى أقصى حدود التفاعل، ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام في كل منهما مما يؤلف ضرورة تمليها علينا طبيعة الدراسات الحضارية في الوقت الحالي .

من هذا المنطلق الحيوي وجد العلامة محفوظ (١٩٢٦ - ٢٠٠٩ م) بابا واسعا لدراسته العليا وتخصصه الدقيق ولجه من خلال استحضار فكر وأدب أعظم شخصيتين فكريتين، في عصر لا يعد قديما ولا

يحسب حديثا، هما : أبو الطيب المتنبي وسعدي الشيرازي بالرغم من فارق القرون الثلاثة ونيّف الممتدة بين سنتي ٣٥٤ هـ و ٦٩١ هـ، وهما سنتا وفيات كل من المتنبي وسعدي .

ولنا أن نرى العلامة محفوظ قد وقف عند هذين العلمين الشامخين في دنيا الأدب العربي والفارسي (المتنبي وسعدي) في غفلة من وقوف مؤرخي الأدب في ذلك الوقت من الوصول إلى النتائج التي وصل إليها الدكتور محفوظ لأسباب حدثني هو عنها – رحمه الله – ولم يذكرها في كتاب منها:

١ – بعد المسافة الزمنية بين الشاعرين، التي تمتد كما قلنا إلى قرابة ٣٤٠ عاماً .

٢ – تباين الظروف الحياتية لكل منهما ، فالمتنبي كان يصدر عن سليقة عربية استقاها من بيئته ولم يتأثر فيها بشاعر أو بفلسفة ، في حين انتهل سعدي ثقافته من مصادر ربما كان المتنبي على رأسها، ثم لوّنها بما يحمل من تراث فكري فارسي بالرغم من أن مسالة التأثر في القرون الثلاثة التي تلت عهد المتنبي كانت مألوفة بين الشعراء والكتاب، غير أن تأثر سعدي كان واضحا جليا .

٣ – إن حركة النقد بعد حركة سعدي (القرن الثامن الهجري وما بعده) ضعفت أو لنقل جمدت على الأقيسة التي بدأها نقاد الشعر في عصر المتنبي وما بعده، أمثال : أبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني الذين أفردوا مباحث طويلة لما سموه بالسرقات الشعرية ونكاد نحن أن نسميه بالاقتباسات الشعرية . كل هذه الأسماء (والكلام مازال للعلامة محفوظ رحمه الله) دعتني لأن أقف عند هذين العملاقين (المتنبي وسعدي) لأستشرف القاسم المشترك من المعاني لديهما .

لقد كان محفوظ وفياً لما وعد به عزمه على النهوض بمثل هذه المهمة واستطاع أن يخرج بحصيلة دقيقة في ميدان الأدب المقارن فكان كتاب (متنبي وسعدي) الذي قدمه كأطروحة علمية لنيل درجة دكتوراه دولة من جامعة طهران قبل أكثر من نصف قرن .

أفاد محفوظ في كتابه هذا من كتابات القدماء ونقودهم على المتنبي، أمّا دراسته عن (سعدي) فقد اعتمد فيها على نتاجه الفكري والشعري مستشهدا بما كتب عن سعدي من نقاد أو مؤرخين أكثرهم من الإيرانيين .

٤ – تعرض الاثنان (المتنبي وسعدي) إلى حسد الحساد وظلم الناس والحكام وبخس حقهما سواء في إنصاف أدبهم ونقده نقدا علميا منهجيا أم في جور الحكام عليهما، فسعدي ظلم من حكّام عصره كما لحق

المتنبي منهم ولا مجال لذكر أشعارهما في هذا الصدد، فديوان (كلستان سعدي) مليء بمثل هذه الأشعار وكذلك ديوان المتنبي، فمن أراد التفصيل فليراجع ذلك .

مدخل :

إن العناية بالأدب الفارسي ودراسة شعر شعرائه يثير في النفوس ألوانا من التفكير المنتج وان جميع الدراسات التي تصب في هذا الرافد ستعمق الصلة بين الأدبين العربي والفارسي كما أنها ستزيد من أواصر المحبة بين الشعبين المسلمين وهذا ما كان يسعى إليه محفوظ في جميع أنشطته الفكرية والاجتماعية حيث كان يقول: أجمل ما يقدمه هو الحب وأجمل ما يقدم له المحبة .

وكان محفوظ ممن عني بهذه الصلة من خلال دراساته المتعددة وترجماته إلى العربية ، أضاف بدراساته الفارسية ثورة أدبية مضافة إلى أدبنا العربي ظلت أصداؤها ترن في آذان عشاق الأدبين، وراح الدارسون يترسمون آثارها إلى يومنا هذا فأصبحت الينبوع الثر الذي ينهل منه طلاب العلم والمعرفة ما رام لهم من معارف وثقافة حيث استطاع محفوظ رفد المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي تؤرخ تراث الأمة وتؤصل حضارة العرب والفرس بل تعداها إلى توريخ حضارات بعض الأمم الشرقية الأخرى فترك لنا تراثا ثراً يعد مصدرا من مصادر الدراسات الفارسية المختلفة أدبا وتأريخا وفلسفة وتحقيقا لتراث فارسي مخطوط ومعارف أخرى فكان الصوت الرائد المجلجل في العراق لمثل هذه الدراسات الرصينة. كما كان الباعث الحثيث لطلاب الدراسات العليا في أقسام اللغة الفارسية وكان يحثهم على الاهتمام والتخصص بموضوعات التراث الإيراني الفارسي فكان له الأثر البالغ في ذلك حين احتضن عدداً لا بأس به من طلبة الأقسام الفارسية مشجعا إياهم لنيل درجات الماجستير والدكتوراه مشرفا على بعضهم ومناقشا لأكثرهم بعد توفر المصادر الفارسية النادرة لهم فقد صدرت دراسات أكثرها لم تطبع . كما قام بإلقاء محاضرات في الأدب المقارن باللغة الفارسية على طلابه الذين كان يعلمهم الحلم والصدق والأمانة التأريخية وخدمة التراث الفارسي حتى لقبه طلابه بشيخ الأساتذة قبل أن تمنحه جامعة بغداد لقب الأستاذ الأول ناهيك عن الألقاب التي منحته إياه مؤسسات علمية عالمية مثل جامعة بطرسبيرغ حيث منحته لقب أستاذ المستشرقين عام ١٩٦١ كما منحه البروفيسور التركي نهاد جيتين إذ عبر عنه بالمرجع الكبير في العراق ولقب بشيخ التراثيين ولقب بالرائد الأمثل للتراث وعلم المخطوطات وبالرائد الأول للدراسات الفارسية في العراق إلى غير ذلك من الألقاب العلمية التي منح إياها رحمه الله .

ولا بد من الحديث قليلا عن منهجه في الدراسات الفارسية، إنه كان يفلفل كتب التراث الفارسي القديم ويقرأ الجديد ليوازن ويقارن بينهما ثم يقدم رأياً جديداً وقراءة سليمة صادقة لكل ما قرأ وما حقق فقد نشر أكثر من مائة كتاب ورسالة ودراسة محكمة كما نشر أكثر من أربعمائة بحث وتحقيق وترجمة واستنتاج وابتكار يضع فيها اجتهاده الخاص، كما أنه قرأ العلوم ودرسها بالنمط الجديد والقديم، وقد تلمذ على أفاضل علماء عصره فقرأ مقدمات المنطق والأصول على علماء مدينته الكاظمية وسائر العلوم الأخرى في الأدب والحديث والفقه والفلسفة والتفسير والطب القديم وبعض العلوم الغريبة القديمة أخذها على علماء متخصصين .

دراساته وترجماته :

استطاع محفوظ طيلة ستة عقود من الزمن أن يسهم إسهاما وفيراً في إغناء المكتبة الفارسية والعربية بدراساته الرصينة وترجماته الدقيقة وتحقيق مخطوطات نادرة في التراث العربي مما كتبه عدد من الإيرانيين، وهذه الدراسات لم تتحدد في موضوعة معينة واحدة بل شملت صنوفا معرفية كثيرة سنتناول أبرزها بالعرض والتحليل والنقد الهادف اعترافا منا بفضله العميم ونشاطه المحمود في إبراز معالم الثقافتين العربية والفارسية.

من أولى محطاته الثقافية التي ظلت شاخصة حتى اليوم وتناولتها أيدي الباحثين والنقاد : دراسته الرصينة الموسعة لشاعر العرب (المتنبي) وشاعر إيران (سعدي الشيرازي) الذي اتخذه الأدباء والمتأدبون الإيرانيون قدوة لهم، فهم عيال عليه وعلى أدبه وتراثه، وهم جميعا يروون شعره ويحفظون الكثير منه فهو الشيخ المطلق في تأريخ الأدب الفارسي .

وتعد دراسة محفوظ (متنبي وسعدي) ميزاناً وقاعدة لدراسات أدبية مقارنة أخرى حيث اعتمد في منهجه على الإحصاء الرياضي الدقيق لكل شاردة وواردة فيها .

قسم بعض مؤرخي الأدب الفارسي مراحل حياة (سعدي) التي بلغت قرناً من الزمان إلى ثلاث مراحل ثلثها قضاها في بلدته شيراز محصلا لعلوم اللغة والأدب والفلسفة والتصوف وبعض العلوم الصرفة الأخرى .

أما الثلث الثاني فقد قضاه خارج وطنه مقيماً وسائحا بين بغداد وبلاد الشام وبلاد الروم وغيرهما ولكن أكثر وقته في هذه الرحلة كان متعلماً على أساتذة المدرسة النظامية في بغداد، فأتقن الأدب العربي ونظم

فيه واطلع على تراث العرب، أما الثلث الأخير فقد قضاه أيضاً في مسقط رأسه شيراز مشغولا بالزهد والعبادة .

إن دراسة محفوظ لسعدي الشيرازي ولغيره من الشعراء وجميع دراساته الفارسية كانت رصينة يعول عليها كثيراً ذلك لأن الدكتور محفوظ استطاع أن يغوص في أعماق التراث الفارسي ويستخرج من بطون الكتب آراء جديرة بالاهتمام، فهو عندما ارتحل إلى إيران بداية الخمسينات من القرن الماضي عاش مع الإيرانيين واندمج في مجتمعهم من أجل أن يأخذ اللغة الفارسية من أفواه الإيرانيين مباشرة وينتهل ثقافته من مناهلها الأصلية وخبر عادات وتقاليد أبناء إيران، ومن هنا نعلم أن هذا الاندماج ساعده على دخول المكتبات الخاصة والعامة للنظر بالتراث الفارسي المطبوع والمخطوط، فهو لم ينطو على نفسه ويقبع في زوايا غرفته بعيدا عما يجري في محيطه الاجتماعي، بل توسع في علاقاته الثقافية والمعرفية واستطاع أن يقدم زاداً فكرياً وأدبيا دسماً في الثقافة الفارسية فلطالما قضى وقتا ليس بالقصير بين أكداس الكتب في المكتبات الخاصة والعامة يبحث عن معلومة تفيده في اهتماماته منقراً بين طيات أوراق الموروث الإيراني حتى اختزنت ذاكرته بخزين وافٍ غزير وظفه فيما بعد في مجمل دراساته عن الأدب الفارسي والعربي على حد سواء ، فكانت جهوده جهودا مثمرة أفاد منها تراث الأمتين .

إن السنوات القليلة التي قضاها محفوظ في إيران استطاع أن يستثمرها في الاطلاع على كنوز الثقافة القديمة وأن يقتني عدداً لا بأس به من المخطوطات ويحقق الكثير منها وأن يقدم الدراسات المقارنة التي كان في مقدمتها دراسته (متنبي وسعدي) التي ترجمها فيما بعد إلى لغة الضاد.

هذه الدراسة تعد الأولى من نتاجا ته في الدراسات المقارنة، فسعدي الشيرازي الذي عاش في شيراز اضطربت في عصره الأحوال وأفسدت المطامع حكام عصره وطغت عليهم نزعاتهم الذاتية واستبدت به شهواتهم فسلكوا كل السبل للوصول إلى السلطة والتربع على دست الحكم وكان سعدي يتأمل ذلك الموقف تأمل العراف الزاهد المترفع عن الدنايا متجهاً نحو الزهد بعيداً عن كل ما يشين إلى نفسه مختطاً لنفسه منهجاً آخر سوياً لا يعادي فيه أحدا ولا يداهن حاكماً أو سلطاناً كما لم يكن يضمر العداء لأي من أولئك الحكام أو السلاطين [١] .

وقد درس محفوظ أشعار كل من المتنبي وسعدي على انفراد ثم قارن بينهما بعد أن عرض لأسماء شعراء قرأوا ديوان المتنبي وتأثروا به أواسط القرن الثامن الهجري من الفرس والعرب على حد سواء ، وكان عدتهم ٣٢ شاعراً . وعرض محفوظ بعد ذلك إلى تأثير مضامين شعر المتنبي في الآداب الفارسية

فذكر أسماء شعراء بلغوا ٢٢ شاعراً عاشوا في بلاد فارس أغلبهم شعراء فرس وبعضهم عرب ، ثم ذكر شعراء وكتاب إيرانيين تمثلوا بأشعار المتنبي وقد أحصاهم بـ ٣٧ كاتباً وشاعراً . ثم تحدث عن حياة سعدي التي قضاها في بغداد وكما ذكرنا سابقا أنها امتدت قرابة ثلاثة عقود من الزمن عاصر فيها عددا من خلفاء بني العباس وأمراء الدولة ووزرائها كذلك عرض لدراسة سعدي في المدرسة النظامية التي كانت عاملا مهما ورئيسا في خلق ذلك التأثر والتأثير في شعر سعدي .

وكان إتقان سعدي للغة العرب فضلا عن إتقانه لغة قومه أن ساعدته على استخدام المفردة والعبارة العربية في شعره الوجداني والعرفاني فاستطاع أن يضمن شعره الفارسي آيات من القران الكريم والحديث النبوي الشريف حيث أحصى محفوظ اقتباسات سعدي فكانت من خمسة وتسعين حديثاً مائة وست وأربعين مرة ويبدو أن سعدي كان يستسيغ اقتباس الحديث النبوي الشريف في الشعر أكثر من النثر[٢] .

وكذلك ضمّن سعدي شعره بأمثال وقصص عربية ناهيك عن الشعر العربي الذي استطاع من نظمه بأسلوب رائق رائع مستغلاً موهبته الشعرية والأدبية واطلاعه على دقائق اللغة العربية وآدابها وقد أحصى محفوظ عدّة الشعراء العرب الذين قرأ لهم سعدي فقد أربى عددهم على الثمانين وكان يتقدمهم (المتنبي) .

ثم ينتقل محفوظ إلى مبحث آخر يعرض فيه المضامين الشعرية لشعر المتنبي في آثار سعدي وفي مبحث أخير يتحدث محفوظ في كتابه عن المصادر التي بحثت سيرة المتنبي وسعدي الشيرازي على حد سواء[٣] ، ويختم كتابه بجريدة تتضمن أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في دراسته وباللغتين الفارسية والعربية ، وبناء على هذا فلا غرابة أن رفع الإيرانيون شاعرهم إلى مرتبة القديسين كما رفعوا قبره في شيراز إلى أضرحة الأولياء والعرافين لما قدمه هذا العلم الكبير من نتاج شعري متنوع الأغراض خاطب فيه عقول وضمائر الإيرانيين بعد أن دغدغ أحاسيسهم فأثر فيهم أيّما تأثير إذ ظلت أصداؤه ترن في النفوس إلى اليوم وسرت مضامين شعره في دماء عاشقي أدبه .

أما الجهد الثاني في الدراسات الفارسية الذي قدمه محفوظ بعد أطروحته العلمية التي ذكرناها عن الشاعر سعدي كان البحث الرصين الذي نشره في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد في العدد السادس سنة ١٩٦٣م بعنوان (سعدي الشيرازي خريج بغداد في العصر العباسي الأخير) عرض فيه لحياة وأدب هذا الشاعر العملاق ومكانته العلمية والأدبية بين شعراء إيران والعالم، كما عرض محفوظ لجذور ثقافة

سعدي ومصادر معرفته وأساتذته في بغداد بالمدرسة النظامية وأثر المتنبي في شعره مع إبراز نماذج يبن فيها ذلك التأثير ثم عرض في فصل لآثار سعدي التي تركها في (الكليات)، التي احتوت على ٢٢ جزءاً في ١٣٠٠ صفحة وأشار محفوظ إلى جامع تلك الكليات وهو الأديب علي بن أحمد بن أبي بكر المدعو (بستون) سنة ٧٢٦هـ، وقد رتبه على حروف المعجم سنة ٧٣٤هـ [٤].

ثم عرض محفوظ في بحثه إلى أثر آخر من آثار سعدي (كلستان)، أي روضة الورد، الذي يعدونه أنموذج الفصاحة الفارسية وعنوان الأدب الإيراني البليغ وكتاب العجم الفاخر وهو خير ما ورثه الأدب الفارسي من نثر [٥].

ثم عرض لكتاب (بوستان)، أي البستان وذكر أبوابه العشر، ثم عرض لأثر آخر من آثار سعدي وهو (الديوان) الذي يحتوي على ٣٩٩ صفحة في أغراض شعرية مختلفة ثم انتقل محفوظ بعد ذلك وخلال بحثه هذا إلى الحديث عن ديوان المواعظ لسعدي، والديوان العربي الذي يضم ٢٥ قصيدة وغزلاً ومقطعة عدتها ٣٧٤ بيتاً. ويذكر محفوظ أن من طرائف قصائد سعدي العربية التي توضح جانباً من تأريخ العراق زمن المغول معلقته الرائية في مرثية الخليفة العباسي المستعصم وهي في ٩٢ بيتاً عرض فيها لما حدث لبغداد وحاكمها العباسي من المآسي والكوارث والنكبات [٦].

وقد عد محفوظ في بحثه هذا الشاعر سعدي الشيرازي رسول الثقافة البغدادية إلى الأدب الفارسي لأن ما خلفه هذا الشاعر الخالد من آثار تعد مرآة ترينا وجوه ثقافة وأدب شعراء وعلماء بغداد في القرن السابع الهجري. أما الجهود الأخرى التي بذلها محفوظ في مجالات الدراسات الفارسية فهي كثيرة نذكر المهم منها :

١-تحقيق رسالة ألفها السيد حافظ محمد مراد النقشبندي الأستانبولي (١٢٠٣-١٢٦٤هـ) بعنوان قواعد أمثلة فارسية نشرها محفوظ بلغتها الفارسية في مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد في العدد ١٨ لسنة ١٩٧٥ م وقد استغرقت ٢١ صفحة من صفحات المجلة. قدم للرسالة المذكورة عند تحقيقها ونشرها بمقدمة موجزة عن حياة مؤلفها وبعض آثاره التي كتبها بالفارسية والتركية والعربية ومنها هذه الرسالة .

٢-ومن الآثار الفارسية المترجمة إلى العربية البحث الذي نشره سعيد نفيسي عن المدرسة النظامية ببغداد فقد نشر محفوظ الترجمة إلى العربية في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٤/ ١٩٥٥)

٣- نشره بالفارسية رسالة (طب روحاني وتوسل به أهل البيت عليهم السلام) طهران ١٣٧٧ هجري

٤-نشر بالفارسية كتاب (كيليد زبان كسروي) نشره في طهران ١٩٥٤ م.

٥-ترجمة (حدود العالم) من الفارسية إلى العربية وهو كتاب من نتاج مؤلف مجهول في القرن الرابع الهجري انتهى من تأليفه سنة ٣٧٢هـ وقدمه إلى محمد ابن أحمد أمير إقليم جوز جان الواقع في القسم الشمالي الغربي من أفغانستان الحالية (٧). وفي هذا الكتاب معلومات لا توجد في مصادر جغرافية أخرى وفيه وصف لإقليم خراسان تضمن معلومات جديدة ينتقل فيها المؤلف من الوصف الجغرافي- الطبيعي للعالم المأهول إلى الممالك والمدن كل على حدة(٨) .

٦- كتاب قواعد الفارسية، ألفه بالاشتراك مع زميل له في تدريس اللغة الفارسية وآدابها في جامعة بغداد، وهو الدكتور محمد تقي زهتابي، ويقع الكتاب في ٤٥٥ صفحة مدعوما بالأمثلة المطلوبة، وطبع في النجف الأشرف عام ١٩٧٣ .

٧-فهرست خزائن الكتب والمخطوطات الفارسية في مكتبة المتحف العراقي في بغداد بعنوان (كتب خطي فارسي در كتابخانه موزه عراق در بغداد) نشره في طهران ١٩٥٥.

٨-فهرست المخطوطات الفارسية في الموصل بعنوان (كتب خطي فارسي در موصل) نشره في طهران ١٩٥٣.

٩-نخبه سميعي (منتخب أثار حسين سميعي) بالفارسية والعربية نشره في طهران سنة ١٩٥٤ .

١٠- نفائس المخطوطات العربية في إيران (القاهرة ١٩٥٧) .

١١-مخطوطات مهدي بياني في طهران، نشره في القاهرة ١٩٦١ .

١٢-تحقيق رسالة لابن كمال باشا بعنوان (مزية اللسان الفارسي على سائر الألسنة ما خلا العربية) نشرها في طهران ١٩٥٣.

١٣-بحث مفصل في سيرة الشيخ الكليني – قدس سره - جعله مقدمة توج بها كتاب الكافي تقع في أكثر من سبعين صفحة عرض فيها لأصل كلمة كلين ثم سيرة هذا الشيخ الجليل في موسوعته التي تعد واحدة من الكتب الأربعة الأصول عند الأمامية .

١٤-بحثه المعنون (أثر اللغة العربية في الشعوب الشرقية والإعلام واللهجات في إيران وتركيا والهند) نشره في مجلة المورد البغدادية م ٩ ع ٤ سنة ١٩٨٠ م .

وأخيرا لا بد أن نشير إلى دراسته الموسومة بالمعجم بين العربية والفارسية، وهي تقع ضمن الدراسات المقارنة التي ألقاها على طلاب الدراسات العليا (مرحلة الدكتوراه) في كلية اللغات – قسم اللغة الفارسية – جامعة بغداد ،لم تقتصر جهوده على ما ذكرناه في مجال الدراسات الفارسية بل كانت له مساهمات

واسعة أخرى في هذا الصدد أهّلته لأن يعد الرائد في مجال الدراسات الفارسية سواء أكان ذلك في الجامعة التي أسس فيها أقساما للدراسات الشرقية واللغة الفارسية أم في مجال الأبحاث والمؤتمرات وهو دائما السباق لمثل هذه الجهود كما أنه كان يعد طلابه لمثل هذه الدراسات الفارسية، إذ أشرف على العديد من رسائل طلبته واشترك في مناقشة معظم الرسائل المقدمة إلى أقسام اللغة الفارسية فكان له القدح المعلى في تنشيط هذه الدراسات وهي جميعا مدينة للراحل (محفوظ)، كما لا نغفل دوره وسعيه الحثيث في توفير المصادر الفارسية للطلبة وسد النقص الحاصل في هذه المصادر فكان بحق الأستاذ الرائد الذي أسهم في تأسيس مكتبات غنية بالمصادر الفارسية في كلية الآداب وكلية اللغات، ناهيك عن خزانة كتبه الخاصة التي غصت بالمصادر الفارسية في شتى صنوف العلم والمعرفة التي وقفها على طلاب العلم المتخصصين بالفارسية .

الخاتمة :

تلك إلمامة سريعة ونبذة قصيرة بالجهود الموثقة للراحل الكبير(العلامة محفوظ) ومساهماته الوفيرة في مجال الدراسات الفارسية، وقد تحاشينا في هذه النبذة المختصرة عن ذكر ما لم يوثق كالمحاضرات التي ألقاها في هذا الصدد أو الندوات النقاشية التي حضرها وأسهم فيها أو الرسائل المتبادلة مع شخصيات إيرانية معاصرة أو مع المستشرقين المعنيين بالتراث الفارسي بخاصة والإيراني بعامة أو مع مؤرخين داخل إيران أو خارجها أو عرب أو أجانب لهم اهتمامات وتخصصات باللغة الفارسية، كما كانت للدكتور محفوظ آراء في قضايا أدبية فارسية، وعلى سبيل المثال كنت قد سألته عن رباعيات الخيام التي ترجمها أحمد رامي، فأجابني : (لا تقل رباعيات الخيام بل قل رباعيات أحمد رامي) ويرجع ذلك إلى هشاشة الترجمة وبعدها عن روح المعنى الذي أراده الخيام، وهذا يدل على سعة أفق محفوظ اللغوي والمعرفي بأصول اللغة الفارسية وآدابها.

رحم الله محفوظ وجزاه الله خيرا لما قدم للأدبين والحضارتين العربية والفارسية على حد سواء، إذ استطاع بدراساته الفارسية أن يضيف ثروة جديدة قيمة إلى الأدب العربي فهو بحق رائد هذه الدراسات التي أمضى ستين عاماً من عمره في خدمتهما ونشرهما وأزال ما غمض من خفايا الأدب والتراث الفارسي.

الهوامش :

١) د. محفوظ ، متنبي وسعدي ص ٥ – ٦

٢) المرجع نفسه ص١٠٣ - ١٣١

٣) متنبي وسعدي ص١٣٠

٤) مجلة كلية الآداب العدد السادس ١٩٦٣ م / ص ١٦٦

٥) (سبك شناسي) ٣/ ١٢٥ لمحمد تقي بهار ملك الشعراء / طهران ١٣٢٦ هـ ش

٦) مجلة كلية الآداب العدد ٦ / ١٩٦٣ م/ ص ١٦٨

٧) في . في . بارتولد ، جهود العلماء المسلمين في علم الجغرافية ص١٥، ترجمة د. عبد الجبار ناجي/ بغداد ٢٠٠٠ م

٨) المصدر نفسه ص٤٢

المراجع :

١. د. حسين علي محفوظ ، متنبي وسعدي (بالفارسية) طهران ١٩٦٢ م.

٢. د. فاضل عبد علي عباس، منهج الأدب المقارن عند الدكتور محفوظ (رسالة ماجستير لم تنشر) قسم اللغة الفارسية ، كلية اللغات / جامعة بغداد.

٣. في . في بار تولد، جهود العلماء المسلمين في علم الجغرافية (ترجمة د. عبد الجبار ناجي،بغداد ٢٠٠٠م).

٤. محمد تقي بهار ملك الشعراء، سبك شناسي (بالفارسية) طهران ١٣٢٦ هـ. ش

المجلات

١. مجلة تعليم وتربيت / العدد١١ ،١٢، السنة السابعة ،طهران١٣١٦ هـ. ش

٢. مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد، العدد٦ ،١٩٦٣م